

كنوز الحكمة إشعيا 1:16 – 7:18

■ الدرس التاسع عشر

ما زلنا نتأمل في سفر إشعيا من العهد القديم، وقد رأينا المرة الماضية سقوط الشيطان. الشيطان هو أسمى مخلوق خلقه الله. لكنّه انقلب على الله وقَدَّم مشيئته على مشيئة الله. فقد كان يَصنع مشيئته قَبْلَ مشيئة الله. نعم، لقد كانت خطيئة إبليس هي الكبرياء المفرط. فقد خلق ملاك نور، وكان هو زهرة بنت الصبح. وكانت له مشيئة أخلاقية حرة تُمكنه من اختيار ما يشاء. لكنّه تكبر كثيراً إلى درجة أنه اختار أن يعمل مشيئته عوضاً عن مشيئة الله. كان يريد أن يصبح مثل الله. سوف يقوم الله بمعاذرة الشيطان عقاباً شديداً. فسوف يطرح إبليس في نهاية المطاف في بحيرة النار التي أعدت له. ثم رأينا الدينونة الثانية على فلسطين القديمة بموت الملك آحاز.

في الفصل الخامس عشر من إشعيا رأينا الدينونة الثالثة التي تنبأ بها النبي إشعيا ضدّ مؤاب. مؤاب هي الأمة التي خرجت من لوط من خلال علاقته الجنسية المحرمة مع ابنته. وقد أصبح هذا الشعب عدواً لدوداً ودائماً للشعب القديم. في وقتنا الحاضر، فقد اختفى شعب مؤاب. ومؤاب اليوم تمثل هؤلاء الذين يقولون عن أنفسهم بأنهم أولاد الله في حين أنهم في حقيقة الأمر يفتخرون للعلاقة الحقيقية معه. وهكذا، صديقي، فإنّ المؤابيين المعاصرين يتظاهرون بالتقوى رغم أنهم ليسوا كذلك في واقع الأمر. وقد رأينا عدة مدن وأماكن تنتمي لمؤاب في زمن النبي إشعيا. وكانت جميعها سُدُمرٌ لأنه رغم أن شعب مؤاب ادعى بأنه يعرف الله، إلا أنهم قضاوا وقتهم في المعابد الوثنية المخصصة لعبادة الآلهة الوثنية وكانوا يدعون بأنهم يعبدون الإله الحي الحقيقي.

والآن إلى الفصل السادس عشر من إشعيا، حيث نرى عرض الرحمة الأخير المُقدّم لمؤاب. يقول العدد الأول من هذا الفصل: **"أرسلوا خرفان حاكم الأرض من سالف نحو البرية إلى جبل ابنة صهيون"**. كان ينبغي إرسال خروف من مؤاب إلى الشعب لتقديمه ذبيحة على المذبح هناك. وقد كان الخروف حيوان الذبيحة الذي يرمز إلى المسيح الذي قال عنه يوحنا المعمدان في إنجيل يوحنا 1:29 بأنه **"هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم"**. فإن أرسلت مؤاب خروفاً فهذا يعني بأنهم يعترفون بإله الشعب الحقيقي. لكنهم لم يرسلوا خروفاً. فقد كان المؤابيون مُدنيين دون الإقرار بحقيقة أنهم خاضعون لمشيئة أعلى منهم وبأنهم خطاة في نظر الله. وقد كانت تلك هي خطيئتهم الكبرى، أي الكبرياء. عدد 2: **"ويحدث أنه كطائر تائه، كغراب منفرة تكون بنات مؤاب في معابر أرنون"**. كان نهز أرنون مجرد جدول صغير. ومن المؤكد أنه لم يكن بمقدوره أن يفصل المؤابيين عن الآشوريين. عدد 5: **"فثبت الكرسي بالرحمة، ويجلس عليه بالأمانة في خيمة داود قاض، ويطلب الحق ويبادر بالعدل"**. في أعمال 15 يقول يعقوب بأن خيمة داود **"ساقطة"**. لكن بعد أن دعا الله الأمم لتأسيس الكنيسة سوف يعود لإقامة خيمة داود من جديد، وذلك في علمه المستقبلي. قد لا نفهم ذلك ولكن كلمة الله واضحة في هذا الشأن، وهو الأمر الذي يؤكد د. مكغي.

لنرى الآن كبرياء مؤاب العالي. عدد 6: **"قد سمعنا بكبرياء مؤاب المتكبرة جداً عظمتها وكبرياتها وصلفها بطل افتخارها"**. كان السبب الكامن وراء عزم الله على سحق مؤاب هو كبرياء الشعب؛ ذلك الكبرياء الذي قادهم إلى رفض عرض الله بالرحمة. فقد كان الله مُستعداً لتخليصهم، لكنهم كانوا واثقين من برهم وصلاحهم الذاتي.

عدد 13 و 14 من الفصل السادس عشر: **"هذا هو الكلام الذي كلم به الرب مؤاب منذ زمان. والآن تكلم الرب قايلاً: «في ثلاث سنين كسني الأجير يهان مجد مؤاب بكل الجُمهور العظيم، وتكون البقية قليلة صغيرة لا كبيرة»"**. حينما يتعامل الله مع الأمم التي لها علاقة بالشعب القديم فإنه يستخدم التقويم (أي الأيام والسنين). لكنّه لا يستخدم هذه الطريقة مع الكنيسة. وهكذا نرى، عزيزي، بأن مؤاب سُدُمر في غضون ثلاث سنين. وقد استخدم الله أشور لفترة

ثلاث سنين لتدمير هذه الأمة. وقد كانت هذه دينونة الله عليهم بسبب كبريائهم. وربما تذكر، عزيزي، بأن "لوسيفر"، أي إبليس، قد تكبر وأراد أن يُعلي عرشه فوق عرش الله. أجل، لقد أراد أن يُنشئ مملكته الخاصة به وأن يكون مُستقلاً عن الله. فالكبرياء، صديقي، هو الذي يقود الناس إلى رفض كلمة الله وإعلانه. فغالبية الناس يريدون أن يختاروا ديانتهم بأنفسهم. وهم يريدون أن يفعلوا شيئاً ما لكي يخلصوا لأن هذا يُشبع كبرياءهم. وكما تقول كلمة الله: "ملنا كل واحد إلى طريقه". وهكذا، فقد حلت الدينونة على مؤاب. ورغم أن مؤاب أصبحت نسياً منسياً اليوم، إلا أنها ما تزال تحمل رسالة وعبرة لنا جميعاً.

نأتي الآن إلى الفصلين السابع عشر والثامن عشر من إشعياء حيث نرى دينونة دمشق القديمة وأفرايم. كانت دمشق وما تزال عاصمة سوريا. وقد قال عنها الكثيرون بأنها من أقدم المدن التي عاش فيها الإنسان. ودمشق المذكورة في هذه الآيات تُشير إلى شعب سوريا القديم بأكمله. أما اسم "أفرايم" فهو يُطلق على أحد أسباط الشعب العبراني القديم. كما أنه اسم مدينة، واسم جبل، واسم رجل. لكن غالباً ما يرد اسم أفرايم في الكتاب المقدس ليشير إلى الأسباط الشمالية من أبناء الشعب القديم. نقرأ في هوشع 16:4، 17 ما يلي: "قد جمح إسرائيل كبقرة جامحة ... أفرايم مؤثّق بالأصنام". لذلك، لدينا هنا في الفصلين 17 و 18 دينونة ضد دمشق وأفرايم، أو بعبارة أخرى دينونة ضد شعب أرام أي سوريا القديمة والشعب العبراني القديم. فبسبب تحالف أرام والشعب الشمالي في ذلك الوقت (غالباً لكي يقفوا معاً ضد يهوذا)، فقد حظيت المملكة الشمالية بنصيب من الدينونات المُعلنة على أرام. فالشركاء في الجريمة يكونون شركاء في الدينونة أيضاً.

يقول العدد الأول من الفصل السابع عشر من إشعياء: "وحي من جهة دمشق: هوذا دمشق تُزال من بين المدن وتكون رجمة ردم". قد يسارع البعض إلى القول بأن هذه النبوة لم تتحقق، وبأن دمشق الحالية هي نفس دمشق القديمة الأصلية. لكن كما قلنا سابقاً، صديقي، فإن هنالك أموراً تحققت في القديم، وهنالك أمور لم تتحقق بعد. وهنالك تفسيران مُحتملان للمشكلة القائمة في هذه النبوة: التفسير الأول: لا يكون المؤرخون دقيقين دوماً في تحديد مواقع المدن القديمة. ففي منطقة دمشق الحالية، هنالك الكثير من الآثار القديمة، وقد يكون أي موقع من هذه المواقع هو دمشق القديمة. ودمشق تُشبه العديد من المدن القديمة في أنه حينما دُمّرت لم يتم إعادة بنائها في نفس الموقع، وإنما في موقع آخر. (لكن هنالك مدن أخرى، مثل أورشليم، أعيد بناؤها في نفس الموقع القديم وذلك لقسرية المكان). وسوف نترك هذه المعضلة لعلماء الآثار الذين لم يخرجوا بعد بإجابة حول موقع دمشق القديمة. التفسير الثاني: أن دمشق تحملت الهجمات والحروب وبقيت صامدة كمدينة رغم أنها غيرت موقعها. وربما كانت دمشق أقدم مدينة في العالم. وبالتالي، فقد صمدت في وجه كل كارثة حلت على هذه الأرض ولا سيما في المنطقة التي شهدت تعاقب الجيوش عليها. لكن بحسب النبوات يقول إشعياء بأن دينونة آتية على تلك المدينة في يوم الرب، يوم الدينونة المستقبلي. وهكذا، عزيزي، فإن هذين التفسيرين يُبينان صحة النبوة التي تنبأ بها إشعياء في هذه الآيات.

عدد 2: "مدن عروعر متروكة. تكون للقطعان، فتربض وليس من يُخيف". "مدن عروعر" هي إحدى الضواحي المحيطة بدمشق القديمة. فالمنطقة بأكملها سُدمّرت. وربما حدث هذا في الماضي، وسوف يحدث ثانية. عدد 3: "ويزول الحصن من أفرايم والمُلك من دمشق وبقية أرام. فتصير كمجد بني إسرائيل، يقول رب الجنود". يجب على المملكة الشمالية أن تأخذ نصيبها من الدينونة الواقعة على دمشق وذلك بسبب تحالفهما معاً. وقد حوصرت كلاهما من قبل "تلت فلاسر" ملك آشور كما هو مدوّن في 2 ملوك 29:15، ثم جاء سبيهم على يد شلمنأسر كما هو مدوّن في 2 ملوك 6:17. ومن المؤكد أن هذا كان تحقيقاً جزئياً لنبوة إشعياء. ورغم أن البعض يقول بأن هذا تحقيق كامل للنبوة إلا أنني أرى بأن هذا كله يُشير إلى يوم ما في المستقبل. ففي كثير من الأحيان، يسمّح الله لنا بمعرفة أن نبوة ما

ستتحقق بالكامل في المستقبل وذلك عن طريق تحقيقها جزئياً في الوقت الحاضر. هذا ما يفسره لنا د. مكغي واضع هذه الدراسات.

في بقية هذا الفصل، نجد تفاصيل الدينونة التي ستحل على أرام والمملكة الشمالية المكونة من الأسباط العشرة. ولا حاجة لنا هنا للدخول في هذه التفاصيل. عدد 10: "لأنك نسيت إله خلاصك ولم تذكر صخرة حصنك، لذلك تغرسين أغراساً نزهةً وتنصبين نصباً غريبةً". يوجه النبي إشعياء حديثه هنا إلى المملكة الشمالية. وقد تحقق ما قاله هنا حرفياً. فممكنك الآن، صديقي، أن ترى الكثير من الأشجار والغابات في تلك الأرض.

والآن إلى الدينونة على الأرض الواقعة خلف أنهار أثيوبيا، وذلك كما وردت في الفصل الثامن عشر. إذاً، يتناول الفصل الثامن عشر الدينونة الخامسة على الأرض "التي في عبر أنهار كوش (أي الحبشة أو أثيوبيا)". ولا يوضح إشعياء من هو الشعب المعني أو المقصود. لهذا فهناك عدة تفسيرات بهذا الخصوص. فالبعض يرى بأنه يتحدث عن مصر، لكن الوصف لا ينطبق عليها. كما أن مصر هي موضوع الفصل التالي حيث سترى بأن الله لم يفرغ من تلك المملكة. كما سترى كيف تحققت تلك النبوة حرفياً بشأنها.

الكلمة المستخدمة هنا هي "كوش". والكتاب المقدس يذكر "كوش" في آسيا (تكوين 10:2)، ويذكر "كوش" أيضاً في إفريقيا. فأى منهما هي المقصودة هنا في نبوة إشعياء؟ اعتقد بأن المقصود هي "كوش" التي في إفريقيا والتي هي الحبشة أو أثيوبيا. وهي واقعة ما وراء الأنهار، أي نهر النيل. والآن، يوجه الله أنظار العالم إلى أثيوبيا فيقول في كلمته المقدسة في العدد الأول من الفصل الثامن عشر من إشعياء: "يا أرض خفيف الأجنحة التي في عبر أنهار كوش". وكأن الله هنا يقول: "اسمعي أيتها الأرض!" "خفيف الأجنحة" - يقول البعض بأن أثيوبيا مشهورة ومعروفة بطيورها. وهي تسمى "أرض الأجنحة". وقد يساعدها هذا على تأكيد أن الأرض المقصودة هنا هي أثيوبيا. عدد 2: "المُرسلَةُ رُسلاً في البحر وفي قوارب من البردي على وجه المياه. اذهبوا أيها الرسل السريعون إلى أمة طويلة وجرداء، إلى شعب مخوف منذ كان فصاعداً، أمة قوة وشدة ودوس، قد خرقت الأنهار أرضها". "أمة طويلة وجرداء" - يتفق غالبية دارسي كلمة الرب على أن المقصود بهذا التعبير هو أمة الشعب القديم. عدد 3: "يا جميع سكان المسكونة وقاطني الأرض، عندما ترتفع الرؤية على الجبال تنظرون، وعندما يضرب بالبورق تسمعون". يعتقد البعض بأن "الرؤية" المذكورة هنا هي تابوت العهد الذي نُقل فيما بعد إلى الهيكل. وقد اختفى هذا التابوت في زمن الأسر البابلي. وهناك تقليد يقول بأنه نُقل إلى أثيوبيا. عدد 7 وما زلنا في الفصل الثامن عشر من إشعياء: "في ذلك اليوم تقدم هدية لرب الجنود من شعب طويل وأجرد، ومن شعب مخوف منذ كان فصاعداً، من أمة ذات قوة وشدة ودوس، قد خرقت الأنهار أرضها، إلى موضع اسم رب الجنود، جبل صهيون". يقول د. مكغي، عزيزي، بأن هذا يشير إلى الوقت الذي سيتم فيه تأسيس مملكة المسيح. وعندها سوف يأتي الأثيوبيون مرة أخرى إلى اورشليم للعبادة.

صديقي، هناك دينونة آتية لا محالة، وقد ذكرنا هذا الموضوع مراراً وتكراراً على مدى الحلقات الماضية. وإذا كان الله يكرر هذا الموضوع ويشدد عليه فواجب علينا نحن أيضاً أن ننتبه إلى هذا الموضوع الهام وأن نتحذر لحياتنا منه. ماذا تريد أيها العزيز؟ هل يسرك أن تقع فريسة لهذه الدينونة الرهيبة التي لا ترحم، أم أن تهرب منها وتحيا مع الله إلى الأبد؟ أظنك تفضل الخيار الثاني ولهذا نحن نقدم رسالة الإنجيل الأخبار السارة باستمرار، سواء في برنامج كنوز الحكمة أو في البرامج الأخرى على أمل أن تلتفت إلى المسيح من أجل خلاصك وتتجو من الدينونة الآتية. نعم صديقي، المسيح يوفر النجاة والخلاص لكل من يريد وهو فاتح الباب الآن، باب الخلاص لكي تدخل منه وتخرج وتجذ مرعى لحياتك. لم لا تقبل إليه الآن وقبل فوات الأوان قابلاً صليبه الذي رفع من أجلك وواضعاً إياه على عرش قلبك وحياتك؟ الدعوة لك والخيار لك وأمر أبتك بين يديك الآن، فما هو قرارك؟